

يوسف إوريس



مَلِكُ الْفُطُونِ

مكتبة علي بن صالح الرقمية

يوسف إدريس



ملك القطن

مسرح

1960



كتب اونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أشخاص المسرحية

إخراج: نبيل الألفي

توزيع الأدوار.

الدور	السادة والسيدات
السنباطي	فؤاد شفيق
أم محمد	إحسان شريف
سعاد	راجية محسن
الحاج شوادفي	علي رشدي
أبو إسماعيل	عبد الغني قمر
قمحاوي	شفيق نور الدين
نظيرة	سامية رشدي
محمد	عبد الله غيث
مصطفى كمال	فاروق عبد الخالق
عوض	هناء عبد الفتاح
سعد زغلول	ناجي محمد

الملقن: علي هاللي.

إدارة المسرح: حافظ أمين.

الأشخاص

السنباطي: مالك، في الخمسين من عمره، عنده حوالي ٢٠ فدانًا أو أكثر قليلًا، وجهه أحمر، وله صلعة.

نظيرة: زوجته. في الأربعين، ضخمة جدًا.

سعاد: ابنتهما، سنّها ١٩ سنة.

مصطفى كمال: الابن الأكبر، سنّه ٢٢ سنة في التوجيهية.

قمحاوي أبو إبراهيم: مزارع في الستين.

محمد: ابنه، في العشرين.

عوض: ابنه الصغير، في العاشرة، وألثغ (ينطق السين ث).

أم محمد: زوجة قمحاوي، طويلة وجافة العود.

الحاج شوادفي: من ملاك البلد، في الستين، ويبدو أصغر سنًا.

أبو إسماعيل: تاجر أقطان من مديرية أخرى.

فلاحين.

ملك القطن

المنظر

(حوش أمام بيت السنباطي. البيت بناؤه مُرتفع وبابه عبارة عن بوابة ضخمة وواسعة، لدرجة أنه من المُمكن رؤية ما يدور داخل البيت. البوابة في الوسط. باب الحوش إلى اليمين. إلى اليسار باب صغير آخر يُؤدّي إلى ملحقات البيت. الحوش به أكياس قطن نائمة وواقفة. في الركن الأيمن حامل (شاليش للسيببية) منصوب على ثلاثة عروق خشب تربطها طارة من حديد. هناك كيس معلق إلى بوابة البيت، وجارٍ «حشوه». محمد ابن قمحاوي داخله وأمه طوال الوقت تملأ قفة بالقطن من المخزن في الداخل، وتتاول ابنها الذي يحشو.)

(يُفتح الستار على عوض وسعد زغلول يلعبان على الأكياس القريبة من الباب. السنباطي جالس على كيس في الوسط. الزوجة تَخيط جلبابًا لابنها الكبير على ماكينة خياطة برجلٍ قديمة، ولها صوت مُزعج. والماكينة موضوعة قريبًا من البوابة.)

الوقت

(قبيل غروب أحد أيام أكتوبر.)

(السنباطي جالس إلى كيس في الوسط يرتدي جلبابًا إفرنجيًا أبيض، وعاري الرأس، وواضعًا ساقًا فوق ساق، ومنهمكًا في الحساب في دفتر ببيرواز أحمر معه. يحسب أحيانًا، وأحيانًا يضع القلم بين أسنانه، يُكلم نفسه، ولكنه يوجه الكلام بحيث يبدو وكأنه يكلم كيسًا من الأكياس.)

السنباطي: مصيبة ... والله، أكبر مصيبة! مطلوب مني النهاردة ٢٥٠ جنيه، والقطنية كلها مش محصلة ٢٠٠. أروح فين وأجي منين ياخواتي؟

نظيرة (تُوقِف ماكينة الخياطة، وتتأمل ما كانت تخطه وهي تغني):

وبتسأليني باحبك ليه؟ سؤال غريب ما أجابش عليه!

جلابية كمال قرّبت تخلص أهه، والنبي اسم الله فيها. تعالى يا سنباطي وحياتك أما أقيس ياقتها عليك لحسن بسلامته نايم.

السنباطي (لنفسه): أروح فين وأجي منين يا ناس؟

نظيرة: إنت موش سامع؟ باقول لك تعالى أقيس الياقة عليك.

السنباطي: إيه؟

نظيرة: إعمل لي تايه عاد زي عوايدك. تعالى هنا (يذهب إليها السنباطي وهو يهز رأسه، ويحرك يديه).

نظيرة: إلبس كده.

(يحاول أن يرتدي الجلباب فلا يعرف.)

حتى الجلابية ما انتاش عارف تلبسها؟ مصايب إيه دي يا أخواتي! إيه الخيبة دي؟ إوعى كده.

(تلبسه هي الجلباب) ياخي بلا حزن (يحاول السنباطي أن يخفض رأسه ليتفرج على الجلباب).

نظيرة (ممسكة بالياقة وتكاد تخنقه): بص لفوق، عايز تشوف إيه؟

السنباطي: بس أتفرج على الديل يا شيخة.

نظيرة: وانت مالك ومال الديل؟ دي بتاعة كمال. وانت مالك ومال ديلها؟ بص لفوق.

السنباطي (ووجهه إلى أعلى): أروح فين يا ناس وآجي منين؟ القطنية قال! الواحد طول السنة يقول القطن القطن. بدلة لسعد في القطن، جزمة لكمال في القطن، حقن للضغط في القطن، وآدي القطن.

نظيرة: إنت بتعمل مقدمات؟ عمال تلت وتعجن ليه؟ اسمع يا سنباطي، آني بأقول لك أهه، آني ماليش دعوة، تطلع السما (تجذب الياقة إلى أعلى)، تنزل الأرض (تجذب الياقة إلى أسفل)، تروح يمين تروح شمال (تدير رأسه إلى اليمين واليسار) آني ماليش دعوة. والله العظيم الكردان بتاعي إن ما إيجه السنة دي لعاملة اللي ما يعمل (تخنق عليه).

السنباطي: الله! يا شيخة حاتقطيني، حاسبي، إيه ده؟

نظيرة: آني عايزة الكردان وبس (تخنق عليه).

السنباطي: يا شيخة إعقلي، ابن قمحاوي جوه الكيس بيحشي ليسمع بقى يبقى مش كويس.

نظيرة: ماليش دعوة.

السنباطي: والبنك اللي له ١٥٠ جنيه؟

نظيرة: ماليش دعوة.

السنباطي: والمدارس؟

نظيرة: يتحرقوا بجاز.

السنباطي: والأبواب السبعة اللي مفتوحين على آخرهم؟ بس اوعي تخنقي. ولسه دور قمحاوي راخر، كل المزارعين اتحاسبوا في أمانة الله إلا هو، آني عارف دوشته بتاعة كل سنة. كل سنة لازم يبقى يوم حسابه يوم سواد. (ينظر إلى عوض ابن قمحاوي) هو أبوك راح فيه يا وله؟

عوض: راح يصلي.

السنباطي: وده وقته؟ موش نلم للتاجر محصوله، ويبقى يروح مطرح ما يروح، امشي يا واد روح انده له.

عوض (السعد ابن السنباطي): إن كنت ابن أمك وأبوك صحيح اطلع على الكيس من غير ما تمسك بإيديك.

سعد: وإيه يعني؟ هه.

(يحاول الصعود).

السنباطي (يهم بأن يعاود النداء، ولكنه ينتظر نتيجة محاولة ابنه. وحين يفشل يصرخ في عوض): امشي يا واد انده أبوك. امشي روح.

عوض (السعد): موش قلت لك موش حاتعرف تطلع؟ بص لي شوف! هيو الله (يصعد الكيس مرة واحدة).

السنباطي: امشي جاك وجع في بطنك. امشي.

عوض: تعالى ننده أبويا يا سعد.

سعد: لأ.

عوض: هاودني.

سعد: اللأ.

السنباطي: إنت بتقول له يا سعد حاف يا وله؟ قول له يا سي سعد يا وله، امشي يا كلب.

عوض (السعد): طيب حاعمل قطر (يقلد صوت القطار) تش تش (ويجري خارجًا).

سعد: طيب خليني أنا الراس (يجري وراءه) أنا الراس وانت السبنسة. امسك في ديلي وخليك السبنسة.

نظيرة (تكون في تلك الأثناء مشغولة بمساواة الذيل. وتعود لقياس الياقة لآخر مرة):
إنت حر. أنا قلت لك وانت حر. تنقطع إيدي آني اللي مديتها لك بالكردان وانت داير لايص، آني اللي أستاهل. الواحدة تبقى قاعدة في وسط النسوان زوعة. إن رحت في فرح والا في ميتم لم ألق حاجة ألبسها. بقي النسوان تبقى من هنا لهذا صيغة، وآني ما ساوتش مرات عبد الحميد اللي من جنس الغوايش بتلبس دسنة. هو آني مالمش نفس؟
(تشدد من قبضتها على رقبته، ويحاول أن يتخلص من يديها، فتترك القياس وتتهار على الماكينة، وتهم بالبكاء.)

هو آني انكبت في خانة المنسيين؟

السنباطي: إلاه يا نظيرة!

نظيرة: آني عاد لي قيمة في البلد؟ (تنفجر باكياً).

السنباطي (يغير طريقته فوراً، يطبطب عليها): حاضر حاضر. من عيني دي ومن عيني دي. كردان وحلق وكل اللي انتي عاوزاه إن شالله أبيع الفدانين اللي حيلتي. آني أقدر على زعلك؟ بس اروح فين يا ناس وأجي منين؟
(يلمح قمحاوي داخلاً من باب الحوش.)

طيب خشي بقي لحسن الراجل إيجه.

نظيرة (تكف عن البكاء، وتنظر إلى الناحية التي أقبل منها قمحاوي شذراً. تتمم بلا حماس): هو يعني ده راخر الواحدة تستخبي عليه؟ يا خي بلا نيلة وسخام عالي.
(تتهادى إلى البيت بلا حماس.)

(يدخل قمحاوي مرتدياً سروالاً طويلاً يمتد إلى ما تحت الركبة بكثير وصديري، وله شارب أشيب، وذقن نامية، ويمشي على الدوام منحنيًا. وعلى رأسه عمامة متسخة. وكلامه همهمة، وحين يراه السنباطي داخلًا ينهمك، وهو لا يزال مرتدياً جلباب ابنه فوق جلبابه، في الكتابة والتحديق في الدفتر. يمر به قمحاوي، وهو لا يزال يتمتم بختام الصلاة، ويتجاوزهُ دون أن ينطق حرفاً، وينحني على فصوص القطن المبعثرة على الأرض، ويلتقطها ويضعها في يده.)

السنباطي (بعد أن ظلَّ فترة من الزمن منحنيًا على الدفتر منتظرًا أن يُحييه قمحاوي بلا فائدة): ياخي قول سلام عليكم. إنت داخل على أموات؟

قمحاوي (يرفع صوته بختام الصلاة): لا إله إلا الله محمد رسول الله. أشهد أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، اللهم يا ذا الجلال والإكرام. آمين (يرفع كفيه ويملس بهما على وجهه، ويكون القطن لا يزال في يده، فيملس به على وجهه أيضًا. يلتفت إلى السنباطي) السلام عليكم.

السنباطي (متجاهلاً سلامه): كنت فين؟

قمحاوي: كنت باخطف العصر قبل الشمس ما تحج (ينهمك في لمّ القطن المبعثر وتنظيفه وإمسাকে بيده).

السنباطي: إنت موش عايز حسابك ولا إيه؟

قمحاوي (منصرفاً تماماً إلى لمّ القطن المبعثر، يقول وهو ما زال منحنيًا): حد يكره قبض الفلوس؟

السنباطي: طيب. اسمع حسابك يا سيدي، (يقلب في الدفتر) قمحاوي أبو إبراهيم، قمحاوي أبو إبراهيم، (يبيل إصبعه ويقلب الصفحات) قمحاوي أبو إبراهيم، (يلصق الدفتر بعينيه) أيوه، شوف يا سيدي، إحنا صح لنا من زرعتك ٩ قناطير، و ٣٠ رطل، ينوبك منهم التلت يعني ثلاث قناطير وعشرة أرطال، والقنطار بعناه بعشرين يبقى لك ٦٢٠٠ قرش، يعني يا سيدي اتنين وستين جنيه.

قمحاوي (يتوقف عن لَمّ القطن ويلتفت بفرحة): كام يا أفندي؟

السنباطي: اتنين وستين جنيه.

أم محمد (وهي غادية رائحة باستمرار تملأ القفة وتفرغها قطنًا. طويلة ورفيعة جدًا وسمراء جافة كعود القطن الجاف. تسمع الرقم فنتوقف وتزرق. وكلامها دائمًا زعيق كصراخ العرسة): والمصحف الشريف إن ما عرشت الدار السنة دي، لأنني ساييهالك وماشية.

محمد (من داخل الكيس): وآني يابا عاوز اتجوز.

قمحاوي (ينفض يديه بشدة؛ لئيسكتها): بتقول كام يا فندي؟

السنباطي: قلنا ده اللي ليك (٦٢ جنيه) واللي عليك. أروح فين يا ناس، وأجي منين؟

قمحاوي (يتحفز): أيوه؟

السنباطي: شوف يا سيدي، لك ٦٢ جنيه، وعليك يا سيدي يا سيدي (وبهزار) ولا سيدك إلا أنا (يقرب الدفتر من عينيه) آه، وعليك ٧ جنيه تمن شوالين كيماوي. سامع؟

قمحاوي (تنفك عقدة وجهه الخالدة للمرة الأولى والأخيرة، ويحاول أن يستظرف): أيوه، سامع يا أفندي، ما بلاش اللي علينا، وخليها اكده واكده.

السنباطي: اسمع تاني اللي عليك وانت ساكت. قلنا: ٧ جنيه تمن شوالين كيماوي.

قمحاوي: سبعة ليه يا أفندي؟! إذا كان الحكومة بتبيع الشوال بتلاته وربع.

السنباطي: أصلي شاريهم من السوق السوداء، زي ما انت عارف.

قمحاوي: سوق إيه؟

السنباطي: السوق السوداء.

قمحاوي: سوق إيه يا خويا دي؟ تبقى يوم إيه؟ السبت ولّا الحد ولّا يوم إيه؟

السنباطي: يا جدع دي موش سوق. يعني شاريهم بره التسعيرة من واحد، فلازم ياخذ فيهم حق الدخان، ولّا إيه؟

قمحاوي (يهز رأسه علامة قلة التصديق ثم يقول): وغيره؟

السنباطي: وعليك يا سيدي ٢١٥ ساغ تمن البذرة. ماشي؟

قمحاوي: ماشي.

السنباطي (في سره): يا مسهل يا رب. (ثم لقمحاوي) وسلفية اتنين جنية لزوم أنفار لجني القطن. الاتنين جنية اللي خدتهم يوم السوق اللي قبل اللي فات.

قمحاوي: وانت مش عايز يا أفندي تشيل في الجمع؟

السنباطي: يا راجل يا شايب اعقل. إنت عايز تطلع شرع لروحك، هو فيه مالك في الدنيا بيشيل في الجمع؟ موش كله على المزارع؟

قمحاوي: هو المزارع كفر يا ناس؟ اشمعنى امال المالك بياخذ على الجاهز.

السنباطي: والله احنا كده. الناس كلها كده. وان كان عاجبك (ثم بصوت حاسم) وعليك ٨٠ ساغ من تقاوي الغلة اللي فاتت و ٤٠ قرش إيجار عدد ٤ كيس لجني القطن.

قمحاوي: لإيه؟

السنباطي: لجني القطن.

قمحاوي: وجني دي إيه يا أفندي؟

السنباطي: يعني جمع القطن يا سي قمحاوي.

قمحاوي (يضحك فجأة ويقهقه عاليًا): والله عجائب، عشنا لما بقى الجمع جني.

السنباطي: وعليك يا ابو محمد ٤٠ قرش طرق.

قمحاوي (جاءًا): طرق إيه؟

السنباطي: إلاه يا قمحاوي، إنت كل سنة تعمل الموشح ده؟ طرق يا أخي بتاعة كل سنة؟

قمحاوي: ماني يا أفندي كل سنة بادفع الطرق السوداء دي. آني مالي ومالها؟ إنتو اللي بتركبوا العربيات اللي بطوط على السكة الزراعية. وآني طول طول عمري باسرع واروح من على قيد الصيايمة. يعني هم اللي حقيتهم ياخدوا مني طرق. آني مالي ومال الطرق دي؟

السنباطي (بشخط): ما هو آني عارف يومك المهبب ده مش ح يفوت. كل سنة ترازو فيه المرازية دي. يا جدع حرام عليك، آني عندي ضغط، وكلمة زيادة وأموت. إنت عاوز تموتتي؟ إنت عاوز تقتلني؟ يا قمحاوي، يا أبو إبراهيم، كل سنة ليك الدور ده؟ أروح فين يا ناس من الراجل ده وآجي منين؟ اسمع. آني موش عاوز ولا كلمة، آني حا أقول لك على الحساب كله مرة واحدة، وموش عايز ولا كلمة. وعليك عشرة جنيه إيجار الدرة الصيفي بتاعة حوض الساقية، و ٦٠ ساغ محاضر دودة.

قمحاوي: والمحاضر كمان!

السنباطي (مقاطعًا): ولا كلمة، يبقى كله كام؟ كله كام يا سنباطي ٥ و ٨ تلاتاشر، و ٣ ستاشر (يستحيل كلامه إلى همس، ويشير بقلمه إلى عملية جمع مجموعة أمامه، وكأنه يجمعها من جديد) شوف يا سيدي، عليك ٥٦٦٠ قرش، يعني ستة وخمسين جنيه وستين ساغ خصمًا من أصل المبلغ، يبقى لك ٥٤٠ قرش.

قمحاوي (يظهر على وجهه الوجوم الشديد. ثم لابنه داخل الكيس): ما تدك الكيس كويس، دُك يا واد الحطة الطرية دي خلينا نخلص، دك يا واد، دك يا واد، ياني يا اللي عايز تتجوز! دك.

السنباطي: إنت موش سامع ولّا إيه يا قمحاوي؟

قمحاوي: دك يا جحش بكعبك.

السنباطي: قمحاوي.

قمحاوي: ينظر إليه ولا يتكلم.)

السنباطي: ما انتاش سامع؟

قمحاوي: سامع إيه يا أفندي؟

السنباطي: الحساب.

قمحاوي: حساب إيه؟

السنباطي: حساب القطن.

قمحاوي: قطن إيه؟ (يلتفت إلى الكيس) يا واد هنا هه. إنت انطرشت؟

السنباطي: قطن إيه إيه؟ حسابك يا أخي. باقي لك خمسة جنيه واربعين قرش.

قمحاوي (يغمض عينيه ويواجه السنباطي): بتوع إيه؟

السنباطي: اللي باقي لك من القطن.

قمحاوي: يفتح الله.

السنباطي (بهزار): وجع بطنك. إحنا بنهزر؟ يفتح الله إيه؟ اللي أبوه حساب ما يموتش.

هو أنا جبت حاجة من عندي؟

قمحاوي: حد عارف؟

السنباطي: اسمع يا قمحاوي. خلي عقلك في راسك واتكلم كويس. إنت انهبلت؟ كلام

إيه ده؟

قمحاوي: كلام ما كلامشي، أنا يا أفندي زرعت القطن، ونقيته من الدودة وجمعته،

وجبته لغاية باب الدار. فلوس مانيش عايز فلوس، ورزقي على الله.

السنباطي: أصلك كبرت يا راجل، وبقيت تخرف. والله كل سنة بتكبر وتخرف. هي

دي أول سنة؟ إنت بتزرع لينا بقالك عشرين سنة. إنما الظاهر إنك كبرت.

قمحاوي: آني موش علوز فلوس. إن الله الغني. خليهم زكاة عن العيال.

السنباطي: إنت حاتركي عليّ يا قمحاوي؟

قمحاوي (منفجرًا): ما أزكيش ليه؟! إذا كانت الدنيا خربت، بقي ٣ فدن قطن، اقعد ست تشهر مغروز فيهم لما انقطم وسطي، وفي الآخر ينوبني خمسة جنيه؟! يرضيك كده يا ربنا؟ إنت شايف أهه. يرضيك؟ إن كان ده يرضيك آني راضي.

السنباطي: اسمع يا قمحاوي، آني راجل ضلالي؟

قمحاوي: إنت سيد الناس كلها.

السنباطي: ذمتي واسعة؟

قمحاوي: معاذ الله.

السنباطي: والنبي يا شيخ لما يكون المليم ح يحييني، حد الله بيني وبينك. (ثم صائحًا) أنا ما حدش في بلدك كلها حداه شرف زيي، وآدي حسابك أهه، إن كان فيه مليم زيادة يبقى بعشرة جنيه. إنما كلام كثير ما احبوش.

قمحاوي: اسمع يا افندي، آني حدايا كلمة واحدة بس: حسابك ده موش داخل عقلي. ظلم إيه ده يا ناس؟ هي الدنيا خلص منها العدل؟ أشغل ست تشهر آني ومراتي وولادي واللي اكريهم وكل ده بخمسة جنيه؟! يا ناس، الواحد يقتل له نفر ويروح اللومان؟! هو ما فيش عدل يا خلائق؟

(يخرج من المسرح وهو يصرخ ويتوعد.)

السنباطي: الواحد كل سنة يقول: فُضِّك يا وله من قمحاوي وشورته، ما فيش فايده، والنبي يا أبو شيبه عكرة لتكون السنة دي آخر سنينك. أعوذ بالله! دا ولا حساب الملكين. يا سعاد، يا بت يا سعاد، هاتي حبة حمرة يا بنتي، هاتي حبة حمرا. ولّا على إيه اتعبك يا بنتي؟! أروح انا اجيبها.

(يدخل إلى المنزل).

سعاد (تدخل من الباب الصغير الذي على اليسار. ترتدي جلبابًا منزليًا فلاحيًا، وتمضغ لبانة ولها ضفاير): مين اللي كان بينادي؟

(تتلفت فلا تجد أحدًا).

محمد (بهزار): أنا اللي بنادي عليك يا ست سعاد، لما حسّي انتبح.

سعاد: إنت؟ ياخي نادتك أختك (بتمثيل) وعايز إيه حضرة جنابك؟

محمد: عايز تحنّي بنظرة على اللي حب ولا طالشي. آني من السنة للسنة يا ست سعاد باستتّي يوم الحشي زي ما باستتي العيد؛ بس علشان خاطر اقدر اخش هنا ليلة واشوفك.

سعاد (بدلع): إيه قلة الأدب دي؟

محمد: والنبي الفطيرة اللي بعتي لي حنة منها مع اخويا ما دقتها. لسه صاررها في منديل، وشايلها في جيبتي.

سعاد: شايلها ليه؟

محمد: علشان كأني شايلك في جيبتي. أصل انتي عندي زي الفطيرة الغلة، اللي كلها سمن وسكر.

سعاد: وانت عندي زي الرغبة الحاف الناشف.

محمد: والنبي يا ست سعاد نفسي أغمس لقمة.

سعاد (باستتكار ودلع): تغمس إيه؟ فشرت.

محمد: وحياة النبي، لقمة واحدة وبس. آني ميت من الجوع.

سعاد: إيه؟ جيت أشمه كلتة كله؟!

محمد: أبدًا والمصحف الشريف، لقمة واحدة ما في غيرها.

سعاد: وجبت لي إيه امال بدل الفطيرة؟

محمد: حاجيب ليكي إيه؟ مخ بصل؟

سعاد: أني موش عايزه بصل.

محمد: أمال انتي عايزه إيه؟

سعاد: أني عايزه انزاح من البيت ده.

محمد: آخذك طوالي بس ارضي.

سعاد: أبويا عايز اللي ياخدني من هنا، يا يكون أفندي، يا صاحب طين.

محمد: أمال انتي عايزه اللي ياخذك مين؟

سعاد: أي واحد، بس عايزه اطلع من هنا.

محمد: يعني أني ما انفعش؟

سعاد: أني اللي ياخدني يكون طول العرق اللي في الصالة وتخنه وسرح زيه.

محمد: وأناي ما أنفعش؟

سعاد: إنت طول العرق؟

محمد: أني طوله وطوله، واطول منه كمان.

سعاد (تضحك): تبقى تنفع.

محمد (يمد يده من داخل الكيس): والنبي لقمة واحدة بس؛ أصلي ميت من الجوع، واحدة ما في غيرها.

سعاد (تضربه): إوعى.

محمد: آي (صناعية).

سعاد (تفجر ضاحكة وتنهال على الكيس ضاربة): هه هه هه.

محمد: آي! والنبي ضربك حلو يا ست سعاد، والنبي ما تبطلني ضرب. (سعاد تلمح أمه مقبلة حاملة القفة، فتتركه وتدخل) والنبي ضربك زي أكل الزبيب يا ست سعاد، كمان والنبي، اضربي كمان، بالقوي هنا.

أم محمد (تسمع هذا الكلام وتتنظر إلى ظهر سعاد المختفي): يه. يادي الندامة! (تبحث بعينها حتى تجد قنو بلح الذي يستعمل كمقشّات في القرى، فتنزل المقطف، وتتناول القنو وتنهال على الكيس ضربًا).

محمد: آي. أيوه، أهو الضرب ده منجه، والنبي منجه، وده موز. أي، دي سباطة موز بحالها. الله! جرى إيه يا ست سعاد؟ ده الضرب ده جوافة، يا خرابي! ده بقى فجل يا ولاد.

أم محمد: عامل لي رمرم يا ابن قمحاوي؟ ياخي استنى لما توكل روحك. (تضربه) خد كل يا خويا، خد حلي.

محمد: الله! الله! إعقلي يا ولية، القنو بيوجع يا مرة. اسكتي والنبي لحسن أنط في بطنك.

أم محمد (ترمي القنو): إيه الحدوتة دي يا وله؟ إنت مالك ومالها؟ إحنا قد بنت السنباطي؟ إنت انهبلت في عقلك يا وله، ودي تستعناك تشيل شبشبهها؟

محمد: اسكتي يا وليه بلاش دوشة فاضية. إيه يعني بنت السنباطي؟ أمال لو عرفتي اللي فيها؟

أم محمد: فيها إيه يا اللي خالك حسن ابو جمعة الاهل؟

محمد: أصل ابنك ولد يا مرة، والنبي دي لو أعوز، تلف ورايا الدنيا.

أم محمد: على إيه؟ من قلة الندى.

محمد: هو أني موش راجل زي بقيت الرجالة؟

أم محمد: هي يا واد الحكاية حكاية رجاله؟ إنت فلاح وهي ست.

محمد: والله ما انتي عارفة حاجة. أهى الست إن عليت ولّا وطيت عايزة راجل وخلاص، وأنى فلاح، إنما راجل. وهي ست ست، إنما يعني إيه؟ موش بنت زي بقيت البنات؟ دي بعثت لي فطيرة يا مرة، والنهاردة جابت لي كباية شاي.

أم محمد: يا واد، انت لسه طايش وعقلك فارغ، شوف خالك مين وخالها مين؟

محمد: إحنا في الاخوال يا شيخه؟ إذا كانت هي راضية، يبقى مالي أنى ومال خالها وخالي؟

أم محمد: دي عايزه سرايا يا وله، حانتيمها على ظهر الفرن؟ انحط وشوف لك واحدة تقدر عليها وتقدر تشغلها. دي يا وله حاتشيل تبني؟! دي حاتش برسيم؟! دي حاتكنس الدار، وتترب ورا البهايم؟! دي يا وله اللي ياخذها لازم يستتها.

محمد: أصلك هبله من بتوع زمان، والنبي ليلة واحدة وياها، واخلوها لك تقوم من الفجر على الغيط، ويعني حاجرى إيه إن عازت خدمة؟ إن عازت يا ستي، أكرى لها واحدة.

أم محمد (تمسك بالقنو وتضرب الكيس): كنت اكرى لأمك ياخي جتك حزن النيلة (تلمح السنباطي خارجًا، فتأخذ القفة وتدخل).

محمد: والنبي لمجوزها وإن وقف أبوها قدامي لقاتله.

السنباطي (يسمع ما قاله محمد): هي مين يا واد اللي حاتجوزها وتقتل أبوها؟

محمد: دي واحدة كده من العزب التحتانية يا افندي.

السنباطي (يغمغم): ياخي جاتك داهية انت وابوك. أروح فين يا ناس وآجي منين؟
(يلمح قمحاوي والشوادفي قادمين) ورايح جايب لي فردة بُلغة قديمة علشان يحاسب له.
الحاج شوادفي قال؟ تفوه. (يبصق، ثم يرفع صوته) مين؟ الحاج شوادفي؟ ده نور إيه
ده؟ ده حلم ولا علم يا ولاد؟ يا تُلتميت مرحبه، أهلاً وسهلاً، اتفضل.

شوادفي (يدخل مرتدياً جبة قديمة وقفطاناً قذراً، وطربوشاً. في الخمسين، وحليق اللحية
والشارب، وفي يده مسبحة مكونة من ألف حبة. ويمشي منحنيًا وصوته ضعيف
ويقرب من الخنافة): السلام عليكم.

السنباطي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. يا ألف مرحبه، اتفضل، كراسي يا
بنت. كراسي يا ولد.

(يقول هذا فلا يظهر بنت ولا ولد).

الحاج: وعلى إيه يا سنباطي أفندي؟ خليها كده أحمدي، نقعد هنا على الكياس أحمدي.

السنباطي: والله لا يمكن. كراسي، كراسي يا بنت، كراسي يا ولد.

الحاج: وحية قبر الرسول ما آني قاعد إلا هنا.

السنباطي: يا حاج شوا ...

الحاج: خلاص! حلفنا.

(الشوادفي يجلس على الكيس، وعلى الكيس المقابل يجلس السنباطي، ويجلس قمحاوي
الْقُرْفَاء على الأرض.)

السنباطي: قهوة ولّا شاي؟ ولّا نجيب كاكولا ساقعة حالاً من الدكان؟

الحاج: ولا حاجة بتاتاً.

السنباطي: والله ما يمكن، قهوة ولّا شاي؟ حلفت.

الحاج: وأناي حلفت.

السنباطي: ع الريحه ولآ زياده؟

الحاج: خليها سادة بقى وأمرنا الله.

السنباطي: قهوة سادة حالاً يا بنت.

نظيرة (من داخل البيت، بصوتٍ منخفض، ولكنه مسموع): أيوه هناك، عامل لي يا أبو علي ياخي؟ على مهلك شوية، والنبي ما يدوقها، ده ما بيهونش عليه اللضى.

السنباطي: أهلاً وسهلاً.

الحاج: أهلاً بك.

السنباطي: نورتنا.

الحاج: الله ينور عليك.

السنباطي: رجل عزيزة.

الحاج: يعز مقدارك.

السنباطي: يا تلتमित ألف مرحبه.

الحاج: الله يحفظك يا ابو كمال. الله يحفظك.

السنباطي: أهلاً وسهلاً.

الحاج: أهلاً بك.

السنباطي: نورتنا.

الحاج: الله ينور عليك، ربنا يجعله عامر.

قمحاوي (مقاطعاً): بتقول حسابنا كام يا افندي؟

السنباطي: حساب إيه دلوقت يا قمحاوي؟ ياخي استذوق شوية.

الحاج: استنى شوية يا قمحاوي.

قمحاوي: الشمس غطست يا افندي، والدنيا اتأخرت، وبكرة حدانا إن شاء الله تخضير.

السنباطي: هي الدنيا طارت؟

قمحاوي: طارت ولّا ما طارتشي يا افندي، عايزين نخلص. الحاج شوادفي حضرته خير. خلصنا.

السنباطي: تبقى انت جايه علشان كده يعني؟

الحاج: أبداً والله، موش جاي علشان كده بتاتاً. آني جاي بس أقول لك سلام عليكم.

قمحاوي: حاعمل إيه؟ آني راجل لا باعرف اقرأ ولا اكتب، ولا بافهم في حساباتكو دي. والحاج موش غريب، أهو كبير عيلتنا ويقرب لك، وآدي انتو أفندية زي بعض، تعرفوا تحاسبوا بعض.

السنباطي: طيب هو قريبي صحيح، إنما يقرب لك انت منين؟

قمحاوي: أمال إيه؟ هو الدم يبقى فيه يا ولاد؟ موش تبقى المرحومة أمه من الشلاقمة، والشلاقمة اخوال جدي؟ هو الدم يبقى فيه يا ولاد؟

السنباطي: كده يا حاج؟

الحاج: أظن كده. أظن كده على ما أظن. كان المرحوم أبويا يقول لي كده. على العموم المسألة موش غريبة بتاتاً. كلمتين ونخلصها وننتهي.

السنباطي: يا راجل وده يصح؟ والله ما نتحدث إلا بعد القهوة. القهوة يا بنت.

الحاج: معلش والنبي، لحسن آني كنت صايم النهاردة، وتعبان. إنت عارف، أصلي باصوم الاتنين والخميس بقالي ٢٢ سنة.

السنباطي: يا سيدي الحكاية بسيطة (يفتح فمه ويغلقه وكأنه يتكلم).

(يدخل ابن السنباطي سعد، وابن قمحاوي عوض، وهما على هيئة قطار؛ سعد هو الرأس، عوض ممسكاً ذيله.)

عوض: إنت طول السكة عامل راس وأني سبنسة. خليني أعمل أني راس شوية.
سعد: اللأ.

عوض: والله ما خليتني ماني عنت لاعب وياك.

سعد: لا. حاتلعب ورجلك على رقبتك.

عوض: والله ماني عنت لاعب إلا إذا عملت الراس.

سعد: تبقى جبان.

عوض: إنت اللي جبان، طول السكة عاملني سبنسة، ومش عايزني أعمل راس أبداً، هي فوضى؟

سعد: والله إن ما رضيت تبقى سبنسة إلا شاتمك.

عوض: والله ماني لاعب إلا لما اعمل راس.

سعد: العب يا ابن الكلب.

عوض: لا، إلا أبويا. والله العظيم إن ما سكت لاوريك.

سعد: حاتعمل إيه يعني؟ طب هه. يلعن أبوك.

عوض: شاهدين؟ شاهدين؟ طيب يلعن، يلعن أبوك انت.

السنباطي: آدي الحكاية يا سيدي.

(يلتفت فجأة ويقوم واقفاً.)

يلعن أبوه إزاي يا ولد؟ إزاي تشتمه يا وله؟

عوض: ما هو، ما هو هو اللي شتمني الأول.

السنباطي: ولما يشتك يا صرصور تشتمه؟

عوض: أمال يقول لي يلعن أبوك ازاي؟ هو أبوه أحسن من أبويا؟

السنباطي: هو أبوه مين يا وله؟ إنت عارف أبوه مين؟

عوض: أبوه عارف. ابن السنباطي افندي.

السنباطي: مين السنباطي ده يا وله؟

عوض: آني عارف؟ آني ما فيش حد أحسن من أبويا، اللي يلعن أبويا ألعن أبوه.

السنباطي: إمشي داهية تلعن أبوك قليل الأدب ما تربتش. إمشي انجر روح العب بعيد. تعالى يا سعد، آني مش قايل لك ما تلعبش مع أولاد الفلاحين دول؟! دول كلهم قمل وبراغيت، ويعلموك القباحة وقلة الأدب. امشي يا واد يا صرصور انت.

(عوض وسعد يبتعدان عن بعضهما بعض الوقت، ثم يُساهيان الجماعة ويعودان إلى اللعب بعد حين.)

قمحاوي: جرى إيه يا راجل؟ دول عيال بيلعبوا مع بعض، هو ده يصح؛ تقل عقلك وقيمتك؟! (ثم بزعيق) هو ده يصح؟!

السنباطي (بزعيق): يصح إيه يا راجل؟

الحاج: جرى إيه يا جماعة؟ موش كده. ده ما يصحش بتاتاً.

السنباطي: موش شايف يا حاج؟ شايف. يصح يا حاج؟

الحاج: يا أفندي.

السنباطي: يا حاج.

الحاج: يا أفندي.

السنباطي: يا حاج.

الحاج: يا افندي.

(صمت.)

الحاج: هيه. خاينا في الجد، وبعدين؟

السنباطي: وبعدين إيه يا شيخ؟ (ثم مستأنفاً الحساب) يا قمحاوي احمد ربنا. يا أخي قول الحمد لله. هي مصاريك قد مصاريقي؟ دا آني بارمي في بحر، يا أخي ولادي عايزين يتعلموا.

قمحاوي: واني ولادي يا ناس عايزين ياكلوا. عايزين ناكل بس يا خلق. وحياة النعمة دي عايزين ناكل.

السنباطي: يا أخي اتلهي، ما انت بتاكل أهه، هو فيه حد بيموت من الجوع؟

قمحاوي: ما حدش بيموت من الجوع يا افندي، بس فيه ناس بتموت من كتر النعمة. كتر النعمة بيخلي الناس تكفر وتتجبر يا سنباطي افندي.

السنباطي: يا اخي جاتك لهوه. هي فين النعمة؟ يا أخي غيرش ربك ساترها، فين النعمة يا قمحاوي يا فلسفوف؟ وريها لي كده.

الحاج: برضه انت يا سنباطي افندي الخير والبركة. والحكاية كلها بسيطة.

السنباطي: يا حاج شوادفي، اللي ابوه حساب ما يموتش. والمسألة موش تايهة. آدي حسابه اهه، إن كان فيه غلط ملیم يبقى علي بجنيه. اتفضل. (يعطيه الدفتر) آدي اللي له واللي عليه.

الحاج (يأخذ الدفتر ويحاول أن يختلس النظر في باقي محتوياته): أيوه اللي ابوه حساب ما يموتشي بتاتا.

(السنباطي: يقوم ويفتح الدفتر على صفحة قمحاوي.)

الحاج (يقرأ ويحسب): الكذب على الله حرام، إنما الحساب زي ما هو مكتوب هنا مضبوط. الكذب على الله حرام يا ناس، بس يعني ...

السنباطي: إيه؟

الحاج: فيه شوية كده يعني، زيادة شوية.

السنباطي: إزاي؟ فين؟

الحاج: مثلاً يعني انت محاسب على عشرة جنيه إيجار درة، كتير على الله عشرة جنيه.

السنباطي: حسب الاتفاق يا حاج شوافي. اسأله آني شارط عليه كده ولّا لأ. والشرط عند الحرت ينفع ساعة الكيل. عشرة جنيه كتيرة ليه؟

الحاج: آني شايف برضك كده إنهم كتير على الله.

السنباطي: طيب يا حاج شوافي، آني غلطان. آني مستعد احاسبه زي ما انت محاسب مزار عينك.

الحاج: آني؟

السنباطي: أيوه، محاسبهم على قد إيه؟

الحاج (بابتسامة باهتة): بأقل من كده.

السنباطي: والله يا خويا ما أقل أبداً. إنت موش محاسب أحمد أبو عبد الرحيم على ١٢ جنيه إيجار الدرة؟ هو فيه حاجة بتستخبي؟ ومش محاسب الولية أم علي على ١٣؟ إنت مش مسلمهم حتى الفدان ٢٠ قيراط بس؟ يعني الفدان فدان وربيع، إنت مش بتحاسب كده؟

الحاج: بتاتاً، بتاتاً، ما حصلش. والكعبة الشريفة اللي زرتها وملست عليها يا شيخ، إنه ما حصل. وأصل أرضنا برضك شديدة شوية عن أرضك يا سنباطي افندي.

السنباطي: أرضك أحسن من أرضي؟ والله أرضي ولا أراضي المنوفية. إنت بتقول إيه يا شوادفي أفندي؟ يا راجل اقعد اعوج واتكلم عدل. إنت بتقول إيه؟ أرضك أحسن من أرضي؟

الحاج: يا سنباطي افندي، ما تتكلمش الكلام ده. اسأل البلد كبيرها وصغيرها تقول لك. هو فيه في الدنيا كلها أرض زي حوض البحري؟ داني شاري الفدان بتسعميت جنيه؛ جنيه ينطح جنيه.

السنباطي: طيب افرض يا سيدي إن أرضك أحسن من أرضي. آديني مسلمّ الدرة أقل منك اتنين جنيه.

الحاج: ثم ما تتساش يا سنباطي افندي إن الواد ابن عبد الرحيم أصله ضلالي ومجرم شوية. فين ده وفين قمحاوي؟

السنباطي: يا راجل حرام عليك. إنت عايز تخرب بيتي؟ إنت مش عارف مصاريف الأولاد؟ موش عارف زنقة المدارس؟ أروح فين يا ناس وآجي منين؟ عارف ولأ ما انتاش عارف؟

الحاج: عارف والله يا خويا، كان الله في العون. والنبي محمد ابني جاني ديك النهار، وقال لي: يابا عايز ٥٠ جنيه. ليه يا ابني؟ قال لي: الكلية والكتب والبدل. قلت له: طيب يا ابني. والله ما كان معي منهم غير عشرين، والباقي قضيتهم من خلق الله، وقلت له: روح يا ابني، الله يفتح عليك.

نظيرة (من داخل البيت بصوت مسموع): أيوه هناك. ياخي بلا معر، ابنك قاعد يشحت في مصر، وانت خد يا ابني، وروح الله يفتح عليك؟! دا انت جلدة جزمة قديمة، تحط المليم على المليم علشان تشتري القيراط. والنبي آني ما يعجبني كلام الفشخرة دي.

السنباطي (يتحنج): والقطن السنة دي إيدك منه والأرض؛ الفدان خمس قناطير قال! فين أيام ان كانت الدنيا دنيا، والفدان بيحبيب بالعشرة والخمستاشر؟

الحاج: فين احنا وفين الكلام ده؟

السنباطي: وادي انت شايف يا حاج، أزود على روعي، واديله من حدايا.

الحاج: والله شايف. أصل النار ما بتحرقش إلا اللي ماسكها. والله كان الله في العون.

السنباطي: يا أخي ما علينا من الفساتين والجزم وقسط الراديو.

الحاج: أيوا أيوا أيوا.

السنباطي: وده جهاز على ناحية، وده خزين للبيت.

الحاج: معلوم معلوم معلوم معلوم.

قمحاوي (يتدخل): عم الحاج!

الحاج: بقى شوف يا قمحاوي، الحكاية أصلها نسايب وقراييب، والسنة دي كده. السنة الجاية إن شاء الله تتعدل.

قمحاوي: عم الحاج!

السنباطي: كان لزومه إيه يا أخي تتعب الحاج، وتجيبه لحد هنا؟ الحساب وريتهولك بالمليم.

الحاج: يا قمحاوي والله، السنباطي افندي أشرف واحد في بلدنا. ده كفاية إنك زارع لراجل طاهر زيه.

قمحاوي: عم الحاج! هو كل الحجاج كده يا خواتي؟! يا راجل قول كلمة الحق. بقى أني جايبك تحاسب لي، يقوم لقيتك يا عبد المعين تتعان؟

الحاج: ما هو يا قمحاوي، الحساب مضبوط.

قمحاوي: مضبوط إزاي؟ من رابع المستحيل. ده كله كلام فارغ. هو الحساب اللي يخليني اشتغل أنا واولادي ست تشهر بخمسة جنيه يبقى مضبوط؟! مضبوط منين بس؟! ده كله غلط في غلط، ده كلامك يا حاج؟! ده كلامك يا راجل؟!

الحاج: طيب اسمع يا قمحاوي، اسكت انت. شوف يا سنباطي افندي، امسحها في دقني دي، هو له كام؟

السنباطي: خمسة جنيه واربعين قرش.

الحاج: طيب، نخليهم قول ستة جنيه واربعين قرش.

السنباطي: والله يا حاج لما يكون على رقبتني، وربنا المعبود جيئك عندي تسوى ألف جنيه. بس موش كتير نزوده جنيه؟! بلاش يا سيدي الاربعين قرش دول، خليهم ستة جنيه. أمري إلى الله. بس اروح فين يا ناس وآجي منين؟

الحاج: يا أخي انت جيت في جمل يا سنباطي افندي؟ ستة ستة، زي بعضه. كويس كده يا قمحاوي؟ عاجبك كده؟

قمحاوي: عاجبني إيه؟

الحاج: ستة جنيه؟

قمحاوي: بتوع إيه؟

الحاج: حقك.

قمحاوي: كام؟

الحاج: ستة جنيه.

قمحاوي: يفتح الله!

الحاج: لا، حقه مالکش حق بتاتاً يا قمحاوي. أهو انت دلوقت خليت رقبتني زي السمسة يا راجل. تكسر كلام الرجالة؟

قمحاوي: رجالة مين يا حاج؟! هو ده كلام رجالة؟! الراجل هو اللي يقول الحق.

السنباطي: إيه الكلام اللي زي الطوب ده؟!

قمحاوي: والمصحف الشريف كلامكو ما يمشي علي من هنا لحد هناك. هو ما عدشي ذمة يا ناس؟! ما عدشي عدل؟! الدنيا خربت علاولة؟! أزرع القطن وما ينوبني منه الا خمسة جنيه؟!

الحاج: طيب يا قمحاوي! والله لاحققك في العيبة دي، ومانى سايب حقي عندك بتاتاً.

قمحاوي: تحاqqني إيه يا شيخ؟ (يقوم واقفاً) آني والله قلبي بيقول لي من جوه: إن كل ده كلام فارغ. حساب إيه ده؟! طيب انت موش بتقول إن إحنا صح لينا تسع قناطير وكسور؟ واد يا عوض. خد يا وله.

عوض: أيوه يابا.

قمحاوي: تعالى هنا يا وله. الاوزان اللي انت مقيدها فين؟

السنباطي: وده عارف الوزن منين؟!

قمحاوي: أمال، عارف. أمال إيه عارف. ما هو بسلامته متعلم في الإلزام، ووديته حدى الشيخ سالم القبانىي مخصوص علشان يتعلم حساب القطن. وكان واقف جنبك وانت بتوزن كل وزنة من القطن لما كنا بنجمعه. أمال إيه؟ هي نومة؟ انت مقيد قد إيه يا وله؟

عوض (يدعبس في جلبابه ويخرج ورقة): ١٥٠٠ رطل يابا.

قمحاوي: جاك ألف وخمسميت عفريت يركبوك! يعني قد إيه يا وله؟

عوض: يعني عشر قناطير يابا وخمسين رطل صافي.

قمحاوي (بزعيق): شفت عاد يا حاج؟ وتقول لي تسع قناطير، شفت عاد؟

السنباطي: ده كلام فارغ، ورقة إيه دي؟ إنت لقيتها على التل يا ولد. ورقة إيه دي؟ آني ما ينفعنش الكلام ده، آني ما اعرفش حساب العيال ده. ما يمكن كان بيقيد غلط.

الحاج: معلى يا سنباطي افندي، خليك — زي ما بيقولوا — ورا الكداب لغاية باب الدار، وريني يا واد الورقة دي، وريني الدفتر يا أفندي، (يقارن بينهما) يا ناس، الكذب على الله حرام، حسابه مضبوط يا سنباطي افندي.

السنباطي: مضبوط ازاي؟! وريني. (يظل برهة يقارن) بس، شفت بقا الغلطة فين؟ شوف شغل العيال بقى. اتفضل، أهو موش خاصم خسية المخزن.

قمحاوي: إيه خسية المخزن دي؟

السنباطي: إنت مش عارف يا قمحاوي إن القطن لما يستنى في المخزن يقوم يخس؟

قمحاوي: يقوم يا راجل العشر قناطير يخسوا قنطارين بحالهم؟! الحساب ده مزور، والله والله والله لما اروح في الحديد ماني منقول من هنا إلا اما آخذ حقي على داير ملیم.

السنباطي: حقك إيه راجل يا ضلالي يا قليل الدين؟ آني حاسب عليك قنطار وعشرين رطل خسية، تقوم تقول: قنطارين؟! إنت عايز تنهيني؟ إنت عايز تخرب بيتي؟

الحاج: يا افندي.

السنباطي: يرضيك يا حاج؟

الحاج: يا افندي.

السنباطي: يا حاج.

الحاج: يا افندي!

السنباطي: يا حاج!

الحاج: أقول لك يا سنباطي افندي، اللي حدى قمحاوي منطال، نخليهم سبعة جنيه.

السنباطي: والله لا يمكن.

الحاج: علشان خاطري، امسحها في دقني، نخليهم سبعة.

السنباطي: إنت قلت كلمة حكمة يا حاج، ستة جنيه يعني ستة جنيه.

الحاج: علشان خاطري، ولّا أقول لك والله ما أزعلك بتاتّا، وآدي الجنيه من عندي أنا.

(يمد يده في داخل جيبه، ولكنه يتمهل ولا يخرج شيئاً.)

السنباطي: عيب يا حاج، إنت بتشتمني في بيتي؟ طيب بس علشان خاطر إنك قلت الكلمة زي بعضه. وخمس برايز كمان، يبقى ستة ونص. والله طالعين من لحم الحي يا ناس، أروح فين وآجي منين؟!

نظيرة (من الداخل): إنت عايز تديله ستة جنيه ونص؟! والنبي ما يمكن.

السنباطي: معلش يا أم كمال، ما هي الحكاية واحد.

نظيرة: والنبي لما يكون روحه على تعريفة، إنت ناسي اللي مطلوب منا؟ يا سنة سودة السنة دي!

الحاج (يتتحنح): قلت لك يا سنباطي أفندي أدفع آني الخمس برايز.

(السنباطي: يقوم ويدخل إلى بيته.)

نظيرة: طلاقى كوم، والخمس برايز دول كوم.

السنباطي: يا ستي، يهديكي ربنا.

نظيرة: آني قلتها وبس.

السنباطي: آني ادبت كلمة.

نظيرة: ما تمشيش عليّ.

السنباطي: يرضيكي أرجع في كلامي قدام الناس؟

نظيرة: طلاقى كوم، والخمس برايز كوم.

السنباطي: اللهم طولك يا روح! (يعود إلى الجلسة ويغمز للحاج وقمحاوي) طيب خلاص، ستة جنيه، (يغمز مرة ثانية) ستة جنيه بس.

أم محمد (وهي عائدة بالقفة): ستة جنيه إيه دول؟ دول يعرشوا الدار؟!

قمحاوي: بت، امشي انجري جاكى وجع لما يجرجر مصارينك. مالك ومال الكلام ده؟ امشي انجري شوفي شغللك.

السنباطي: خلاص يا قمحاوي (يغمز له).

قمحاوي: خلاص إيه؟

السنباطي: حسابك، اتفقنا ستة جنيه.

قمحاوي: بتوع إيه؟

السنباطي: حقك.

قمحاوي: في إيه؟

السنباطي: الله! في القطن.

قمحاوي: يفتح الله!

السنباطي والحاج: حقة مالکش حق، إلاه يا قمحاوي دانت زودتها علاولة! إن شا الله تنفلق.

(يسمع تصفيق من الخارج).

أصوات: ياهوه، يا اهل الله، يا اللي هنا.

السنباطي: أيوه، مين؟ (بحدة) مين انت؟

صوت: أنا ابو اسماعين، نسييتي يا سنباطي افندي؟ أنا التاجر اللي اشترى القطن.

السنباطي: أهلاً وسهلاً، نسييتك ازاي؟ أهلاً وسهلاً، يا تلتमित ألف مرحبة، اتفضل.

التاجر (يدخل، ضخم الجثة، يرتدي جلبابًا بلديًا فاخرًا، وعمامة وطربوشًا، ويتكلم بلهجة مديرية أخرى): يا رب يا ساتر، يا رب يا ساتر، إحم إحم، وسعوا لنا السكة يا ولاد، يا هوه يا اهل الله، السلام عليكم.

الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

(سنباطي يتركهم ويستمر في تنقية القطن المبعثر.)

اتفضل، يا تلتमित ألف مرحبة، كراسي يا بنت، شاي يا ولد، قهوة يا بنت.

التاجر: أقسم بالله ما آني قاعد إلا هنا، خلي عنهم (يضرب كيس قطن) لا والله صلاة النبي أحسن، الله ينور عليك، عاش مين حشى، بعودة الأيام، كل سنة وانتم طيبين. أهو كله بختك يا أبو بخيت. والله ما شفت بيعة زي بيعتكو دي. حاكم انت يا سنباطي افندي راجل أمير، والأمير دايماً حاجته مقضية.

السنباطي: أهلاً وسهلاً، يا ألف مرحبة، قهوة. مش كده؟ قهوة يا بنت.

التاجر: كله قسم ونصيب. والله على ريق النوم من الصبح، ودابير ألف بلاد الناس. بس لو كان فيه لقمة صغيرة، بس لقمة بشعرة ملح تحت القهوة، بس لقمة بشعرة ملح.

السنباطي: لقمة بس؟ جهزي عشا يا بنت، والله لنتعشى سوا.

نظيرة (من الداخل): طيب حاسب على روحك لحسن تتخزع، عزنها لوكاندة، والله. سخام إيه ده؟ (تقلد زوجها) جهزي عشا يا بنت.

السنباطي: عشا بسرعة لحسن البيه مستعجل.

التاجر (يفرح جدًا للقب البيه): قسمتنا ناكل مع بعض عيش وملح. ربنا يجعله إن شا الله عامر. تعب كلها الحياة!

السنباطي: أي والله، كان الله في العون.

التاجر: كان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، أني عارف إني حاقابلكو، طيب والله أنا عملت عملة النهاردة ما يعملهاش ولي من أولياء الله؛ كنت شاري بيعة تحت كده في عزبة من العزب، ومدي الراجل عربون على حساب القنطار ١٥ جنيه. مديله كتير؟ ١٠٠ ورقة. يقوم بيجي الراجل النهاردة ويقول لي: عايزين نقطع على القطن يا أبو إسماعين. قلت له: تقطع النهاردة النهاردة؟ قال لي: أيوه. قلت له: إنت عارف القنطار النهاردة باتنتين وعشرين واخسر كتير في بيعتك. قال لي إحنا حنرجع في كلامنا يا أبو إسماعين؟ قلت له: والله لما يكون على ميت ألف جنيه. ورجت قاطع على البيعة. فيها خسارة كتير؟ ٢٠٠٠ جنيه. كنت قادر أسيب العربون في داهية والغي البيعة. إنما تبقى عيبة، والراجل يتربط من لسانه، وكلها قسم ونصيب. ما كانش لينا في البيعة دي أكل عيش.

الحاج: كل واحد بياخذ حظه، إنما أظن يا أستاذ إن في ناس بتكسب ألافات من القطن ده؟

التاجر: شوف يا سيدي، المكسب على قد ما تقدر تقول. بس ابعد عن صنف أبو جلابية اللي زي حالاتنا كده. القطن في الغيط تراب. بيجي المخزن يبقى صفيح، ينشال على عربية النقل يبقى نحاس، يدخل في البنك يبقى ذهب. القطن ده، ده غول اللهم احفظنا. ده دنيا بحالها فيها الباشوات والبهوات والملوك. إنما كل الحكاية بختك يا أبو بخيت. أني واحد من الناس إيدي دي بتصرف في الشهر بيجي مليون جنيه. يا سنباطي افندي، والنبي ما في لزوم للتعب. كفاية لقمة بحصوة ملح تحت القهوة.

السنباطي: إزاي؟ وده يصح؟ العشا يا بنت.

الحاج: إنما كانت خبطة شينة بتاعت الراجل اللي قطع النهاردة. معلهش حظوظ.

التاجر: تمام، تمام. هي المسألة بختك يا أبو بخيت، حقه الا دي؟ كل واحد بياخذ حظه. ربك برضك ما بينساش عبيده. البنك كنت حاطط في المحلج بتاعه خمسميت عربية على حسابي. كنت شاري القنطار فيهم باربعتاشر وتلاتاشر وخمستاشر، موش كله. الخواجا من شهر يقول لي: بيع يا خبيبي، أحسن لك. أقول له: لا. بيع. أقول: لا.

رحت النهاردة باعت له تلغراف قلت له: بيع بسعر الحاضر. الخواجا نيكولا بسكلاني
بيع بسعر الحاضر. والإمضا أبو إسماعين.

الجميع: وسعر الحاضر كام؟

التاجر: زي ما خدت من السنباطي افندي؛ باتنين وعشرين.

الحاج: ويبيع ويخلي لك المكسب لما تروح تاخده برضه؟

التاجر: أمال؟! هي المسألة كلمة، قسم ونصيب.

قمحاوي (يقفز واقفاً): بتقول بكام يا سيدنا الشيخ؟

التاجر: باتنين وعشرين.

قمحاوي: يعني خدت من الافندي القنطار باتنين وعشرين؟

التاجر: يا عيب الشوم، وأنا حانهز؟! أقسم بالله باتنين وعشرين.

قمحاوي (بزعيق): ومحاسبني على عشرين يا سنباطي افندي؟! الدنيا خربت يا ناس،
ما عدشي فيه ذمة في البلد دي.

السنباطي: اسكت يا قمحاوي، وطى حسك وبلاش كلام فارغ، أبو إسماعين بك شاري
مني القطن كله بالسعر ده، هو أنا ما عنديش مزارعين غيرك؟! القطن الثاني كله
أنصف من قطنك، فأني بعت المخزن كله على اعتبار إنه جود باتنين وعشرين. قطنك
انت فولي جود. يعني لما يتنطط ما يجبشي ١٨. محاسبك على عشرين، كفرت؟

قمحاوي: حقة اسمع يا أفندي، كله إلا قطني، اوعى تقول عليه تلت التلاتة. بقا آني
قطني فاليشوت؟ والله ما كان إكسرا نمرة واحد ما ينفعشي. داني منقيه لوزة لوزة.
قطني آني فاليشوت؟ طيب داني كنت بافرزه في الغيط قبل ما احبيه. داني بقيت فرحان
بشوية القطن كأني لاقى لقية. داني بقيت اخلي الاولاد يستحموا في الترعة قبل ما
يمدوا أيديهم على الجمع علشان ما يعرقوش على القطن. قطني آني فاليشوت؟ قول

كلام غير ده يا أفندي. ده كانت اللوزة حدايا أعز من عين ولد من ولادي. قطني أني فاليشوت؟! والله ما أحاسب إلا على اثنين وعشرين.

السنباطي: يا قمحاوي، إحنا خلصنا من حسابك وانتهينا، حنرجع لعنب ديبه من تاني؟! خلاص، خلصنا.

قمحاوي: خلصنا إيه؟ على سبعة جنيه؟ حساب إيه ده؟! هي فتة؟ والله والله والله (ينتهي قسمه إلى غممة).

التاجر: وإن شاء الله بإذن واحد أحد حاتخلصوا حشي إمتى؟

السنباطي: ده آخر كيس.

محمد (من داخل الكيس): حشي وزن يا أفندي، والنبي كل كيس حاخمس.

التاجر: طيب يا سيدي، أهو كله قسمة ونصيب. تحب تاخذ فلوس دلوقتي؟ حاكم طول ما معايا فلوس تفضل تاكل في جسمي كده لحد ما يخذها صاحبها. تاخذ ١٠٠ دلوقتي، والباقي إن شاء الله تاخذه قبل ما يطلع أول كيس من عتبة الدار.

السنباطي: ١٠٠ بس؟ دا احنا عايزين لكشة.

التاجر: معلش، كله قسم. أصلي والنبي كنت جايب معايا حسبة بسيطة كده بتاعت ١٦ ألف جنيه. ما باقي منهم إلا شوية الفكة دول.

(يخرج كيساً ضخماً جداً من جيب الصديري الداخلي، ويخرج منه رزماً من أوراق النقود) لكشة إيه يا سنباطي أفندي؟ والله الواحد صدق من قال: كالحمار يحمل أثقالاً، أنت شايف الكيس ده؟ ياريتها كلها فلوسي. كلها وحياتك فلوس البنك. ما عليّ أنا إلا اوزعها على خلق الله. (الجميع مشغولين في التحديق في النقود) أصل الحكاية، بختك يا أبو بخيت، وكله رايح للبنك. نكون إحنا فين من الملايين؟ والله واحد ديك النهار قال إن فرغلي اشتري صفقة من البورصة، وبعد خمس دقائق بس باعها وكسب فيها نص مليون جنيه. قاعد على القهوة حاطط رجل على رجل وبيشرب شيشة. ما عليه إلا يقول: أشتري ولّا ابيع. دي ولاد بتلعب بالفلوس لعب. الجنيه من جنيهااتهم زي نتاية

الأرنب؛ الجنيه بيحبيب في الشهر ثمانية، وفلوسنا خايبة قوي، تلاقي الجنيه معصي، عمره ما يقدر يجيب قرش ساغ واحد. خد يا شيخ خد. (يعد النقود) بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الرحمن الرحيم. آدي واحد، ما لوش ثاني، ما جمع الله بين رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما؛ ثلاثة. الخلفاء الراشدين أربعة. وخامس الخمسة ما يخمس الا بخمسة. اتفضل، آدي يا سيدي خمسين أهم، وآدي يا محترم ورقة بمية علشان تنبسط. وهو كله من عمر النهار.

السنباطي (يتناول المبلغ باحتراسٍ شديدٍ وكأنه قنبلة، ويفحص الأوراق بتدقيقٍ شديدٍ، ويغمغم أثناء ذلك): فلوس إيه يا شيخ؟ هم بيقدوا. ما آني باخدهم منك من هنا أديهم للبنك ثاني. كل سنة باستلف من البنك ١٥٠ جنيه على القطن، أبيعه من هنا وآدي للبنك فلوسه، ويفضل لي نكلة. الواحد يروح فين يا ناس ويبجي منين؟

قمحاوي: أمال الفلوس دي كلها بتروح فين؟ باخدها آني؟! يمكن باخدها آني يا ولاد!

التاجر: بقى يا ولد العم، الفلوس دي كلها بتطلع من البنك. كل سنة البنك يطلع فلوس تلف الدنيا وترجع للبنك ثاني. وما ترجعش بإيدها فاضية أبدًا، لازم تشفط القرشين اللي مع الواحد برضك، إحنا ما علينا إلا نشمها بس، أنا واحد من الناس كل اللي بينوبني من الحكاية دي إني باعرف الناس الطيبين اللي زيكو كده.

الحاج: يعني القناية كلها بتصب في البنك؟

التاجر: تمام، تمام.

محمد (من داخل الكيس): يابا قمحاوي يابا قمحاوي.

قمحاوي: مالك يا وله؟

محمد: آني عايز بنك يابا.

التاجر: يبقى واصلك كام يا سنباطي افندي؟

السنباطي: دول ١٥٠.

التاجر: وعربون ٥٠؟

السنباطي: يبقى ٢٠٠ الكل.

التاجر: والباقي إن شاء الله قبل ما يطلع أول كيس، بس والنبي استعجل لينا اللقمة شوية لحسن نازل لغاية النصايحة كده.

السنباطي: العشا يا بنت، اخلصي شوية، إيه ده؟ اخلصي شوية (يدخل ابن السنباطي كمال، وهو شاب كبير الحجم وملفظ، ويرتدي جلبابًا إفرنجيًا، وشعره طويل ومنكوش، ولا يرتدي شيئًا في قدميه) مين؟ كمال؟ إنت صاحي من النوم والّا إيه؟ يا كمال فين؟ يا أبو إسماعيل بك، ده ابني مصطفى كمال، واللي بيلعب هناك ده سعد زغلول.

التاجر: على اسم سعد باشا.

السنباطي: أمال! الله يرحمه ويحسن إليه. وده على اسم مصطفى كمال أتاتورك؛ قورته شبهه تمام. سلم يا كمال، سلم على عمك. اسم الله عليه في تجهيزي، (ثم لكمال هامسًا) أني مش قلتلك ما تمشيش حافي؟ (يتقدم كمال وهو في منتهى الخجل للسلام).

التاجر: باسم الله ما شاء الله. باسم الله ما شاء الله. ربنا يزيد ويبارك.

السنباطي: تعالى يا سعد، تعالى سلم على عمك يا وله (يأتي سعد الذي كان يلعب في هذه الأثناء مع عوض. أتى عوض معه يريد أن يسلم هو الآخر).

السنباطي (لعوض): قلت لك امشي يا واد انت بعيد! ياللا، امشي روح لعب بعيد. قدم يا سعد سلم. قدم سلم.

قمحاوي: تعالى هنا يا عوض. تعالى اما اقولك.

(يأخذه إلى الناحية اليمنى من المسرح، ويظلان يتهامسان ويحسبان، والابن يخطط على الأرض ويجمع وي طرح.)

(كمال ينتهي من التسليم ويقف في منتهى الكسوف والخجل).

السنباطي: مالك؟ فيه إيه يا كمال؟

كمال (خجلان): عايزك في كلمة.

السنباطي (يأخذه على ناحية): فيه إيه؟

كمال: أمي بتقول لك عايزه تتفرج على الورقة أم ميت جنيه.

السنباطي: إيه الكلام الفارغ ده؟ روح قول لها تجهز العشا حالاً.

كمال: حاضر (يتجه إلى الداخل).

السنباطي (يقف ويفكر وهو ينظر إليه): واللا اسمع يا كمال (يعود كمال) لحسن تخليها ليلة سودة الليلة دي. خد، بس تجيبها على طول. اوعى تسببها في إيدك. (ثم يعود إلى الجلسة) أهلاً وسهلاً. يا تلتميت مرحبة.

التاجر والحاج: الله يحفظك.

السنباطي: يا ألف ألف مرحبة.

التاجر والحاج: الله يبارك فيك.

السنباطي: خطوة عزيزة.

التاجر والحاج: يعز مقدارك.

السنباطي: نورتونا.

التاجر والحاج: الله ينور عليك.

السنباطي: يا ألف ألف مرحب.

التاجر والحاج: الله يبارك فيك.

التاجر: بس والله يا سنباطي افندي تستعجل لنا اللقمة شوية. قسم ونصيب. مقسوم لي أكل عيش وملح وياكو. والله الواحد لما يركب طيارة ما هو ملاحق. لسه عندي وحية النعمة ١٥٠٠ عربية لازم يوصلوا النهاردة المنصورة. والدقيقة تأخير بتقطع بألف جنيه. يا ترى هي الساعة كام دلوقت؟ (يخرج ساعته من جيبه، وفي نفس الوقت يخرج السنباطي والشوادي ساعتيهما) ياه الساعة خمسة وربع!

الحاج: وعشرة. أنا ظابط على الشمس.

السنباطي: أنا عندي خمسة واربعناشر. اظبط ساعتك يا ابو اسماعين بك. دي تفانوس ماشية بالدقي. ظبطها على الراديو.

الحاج: اظبط على خمسة وعشرة يا أستاذ. والنبي الساعة دي بقالها معايا ٣٠ سنة ما مسحتها ولا لعب فيها ساعاتي. دي الشمس تأخر وهي ما تأخرش.

التاجر (بلهفة): طيب والنبي عندكو راديو؟ عايز أسمع نشرة الأخبار. زمان الأخبار خلصت وبيذيعوا أسعار القطن بتاعة النهاردة. قسم ونصيب. لولا ربنا ألهمني أشوف الساعة كانت فانت مني النشرة.

السنباطي: أmaal، راديو فيليبس. خمستاشر لمبة على كيفك. افتح الراديو يا كمال.

الحاج: ونسمع احنا برضه؛ لحسن لسه ما بعناش.

التاجر: حضرتك لسه ما بعتش؟ إن شاء الله يكون قطنك من نصيبنا.

الحاج: إن شا الله.

التاجر: وحية النبي اللي زرتة ومسكت شباكه، ما حد ياخذ قطنك إلا ابو اسماعين. قسم ونصيب. شوف ربك موضعها إزاي؟ وأدي انت شايف أهه. لازم اسمع نشرة الأخبار؛ ليه؟ علشان أشتري بالعدل والقسطاس. لازم أشتري بسعر آخر نشرة. سعر دقيقة بدقيقة، كنتش عارف إني حاخذ قطنك؟ أبداً إنما انت شايف.

صوت الراديو: وإليكم أسعار الإقفال ببورصة نيو أورليانز. قطن طويل التيلة ٥٣,٨٩ بنزول ١٣ بنط قطن (في هذه الأثناء يكون قمحاوي قد انتهى من حسابه مع ابنه، فيأتي للجماعة وعلى وجهه تصميمٌ خطير).

قمحاوي (للسنباطي): يا أفندي.

الجميع: هس. اسمع.

الراديو: بهبوط ٥٦ بنط.

قمحاوي: يا أفندي.

السنباطي: هس. استنى شوية. اسكت.

قمحاوي (بزعيق): والله ما اسكت أبداً. إن شا الله الدنيا تنهد. اسمع يا أفندي. لا الحاج شوادفي ولا دياولو. آني عملت حسابي كله دلوقت. آني عايز ٢٢ جنيه ونص حقي في القطن. عايزهم حالاً على داير ملیم.

الجميع: هس. اسكت. اسكت. خلینا نسمع.

السنباطي: اتنين وعشرين إيه؟

التاجر والحاج: هس.

قمحاوي: اتنين وعشرين جنيه ونص، وتعريفة كمان.

(التاجر والحاج يظلان يسمعان الأخبار ويسدان آذانهما.)

السنباطي: بتوع إيه؟

قمحاوي: حقي في القطن.

السنباطي: يفتح الله!

قمحاوي: يا افندي آني باقول عايز حقي.

السنباطي: بس كده؟ حاضر. من عيني دي وعيني دي. يا غالي، والطلب رخيص يا أبو محمد.

قمحاوي: يا افندي أني عاوز اتنين وعشرين جنيه ونص.

السنباطي: وفوقهم بوسة كمان.

قمحاوي: يا افندي.

السنباطي: إنت مالکش عندي حاجة. إيه رأيك بقى؟

قمحاوي: يا افندي عيب.

السنباطي: باقول لك كده حقك زي ما اتفقنا؛ ستة جنيه ونص. لا زايد ملیم ولا ناقص ملیم.

قمحاوي: أصلي أني غلطان اللي اجيب لك القطن لحد عندك واسيبك تتحكم فيّ. أني كنت لازم اروّحو من الغيظ. أصلي ابن كلب ذمتي نضيقة.

السنباطي: كنت روّحو كده، وأنا تاني يوم كنت اخليك تتشعبط على شباك المركز.

قمحاوي: أني عاوز اتنين وعشرين جنيه ونص.

السنباطي: هي كلمة؛ ستة جنيه ونص، يعني ستة جنيه ونص. موش عاجبك اخبط راسك في الحيط.

قمحاوي: بتقول كام؟

السنباطي: ستة جنيه وخمس برايز.

قمحاوي: يا ناس الواحد يطق. يطق الواحد يا ناس. الواحد يكفر يا خلق. اللهم طوّلك يا روح. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(يتنهد.)

محمد (من داخل الكيس): معلشي يابا. بكرة بيحي يوم يرضي الكل.

قمحاوي: اخرس انت، اسكت. يرضي الكل قال؟ هو فين اليوم ده؟ هو فين اليوم اللي يرضي الكل ده؟ إحييني آني النهاردة وموتني بكرة. الدار عايزه تتعرش. إحييني النهاردة وموتني بكرة (ثم للسنباطي) إنت بتقول كام يا افندي؟

السنباطي (بإهمال مقصود): ستة جنيه ونص.

الحاج (هامسًا لقمحاوي): استعوض الله وخدهم أبرك من عينيه. أحسن من بلاش.

قمحاوي (بصوت مرتفع): أحسن ليه يا حاج؟ هو آني سارقه؟ داني زارعه يا ناس. أمري إلى الله. الصبر يا رب الصبر. هات يا سيدي اللي عايز تجيبه.

السنباطي (يضحك ضحكة صفراء): جاتك لهوه. أمال على إيه فلقة الراس من الصبح؟!

قمحاوي: ما هو سبعة زي تمانية. كله محصل بعضه. والله آني قلبي حاسس من جوه إن كل ده كلام فارغ. بقا ازرع الزرعة يا ناس واجيبها لغاية باب الدار بستة جنيه؟! هات يا سيدي، هات الفلوس.

السنباطي (مواصلًا ضحكته الصفراء): جاتك لهوه. إنت مش عارف كل سنة بيحصل إيه؟

قمحاوي: لا. موز عارف. كل سنة بيحصل إيه؟

السنباطي: اللي بيصح لك مش بتقيده على حساب مصاريف السنة الجاية. هه. (يفتح الدفتر) له مبلغ وقدره ستة جنيهات.

قمحاوي: إنما آني عايز حقي دلوقت حالًا. عايزه حالًا.

السنباطي: وآني موش مستعد اديك حقك. وبعدين تيجي تصرف على الزرعية ما تقدرش. أروح آني فين ساعتها وآجي منين؟ وانت عارف كل سنة بيحصل كده.

اشمعنى السنة دي يعني؟

قمحاوي (بزعيق هائل): بقا كل سنة أطلع من المولد بلا حمص يا ولاد؟ والله لاعمَل شيخ منصر. والله ما عنت خابط فيها ولا خبطة. والله ما عنت زارع عندك. بطل يا وله، بطل يا ابن الكلب. اطلع من الكيس. اطلع يا وله. قدامي يا وليه على الدار. والله ما عنت خابط فيها ولا خبطة.

السنباطي (بضحكة صفراء أخرى): كل سنة بتعمل الموشح دا، وبعدين تجوع وترجع لي مدلدل ودانك. كل سنة ليك الدقة دي. يا أخي، إكرم الشيبة. إكرمها يا شيخ. اسمع، والله إن ما كملت حشي القطن لكاري عشر رجالة على حسابك يحشوه. سامع والا ما انتاش سامع؟

(قمحاوي وابنه وامراته في طريقهم للخارج.)

قمحاوي: إكري إن شا الله تكري ١٠٠.

الحاج: جرى إيه يا قمحاوي؟ جرى إيه يا سنباطي افندي؟ يا اخوانا جرى إيه؟ تعالى يا قمحاوي. يا راجل اعقل.

السنباطي: سيبه. سيبه وانا اكري عشر رجالة.

الحاج: تعالى يا قمحاوي، ياخي ما يبقاش عقلك صغير.

(يذهب إليه ويحضره.)

قمحاوي (يرجع): والنبي موش علشان حاجة بس علشان خاطر ما فيش رجل غريبة تتحط في قطني. اطلع يا واد كمل الكيس. وحياة الختمة الشريفة، ما عنت خابط فيها ولا خبطة. عايز يجيب عشر رجالة يلغوصوا في قطني؟

السنباطي: بلاش يمين الختمة ده يا قمحاوي. ما كل سنة بتحلف، وكل سنة بتوقع اليمين.

ابن قماوي: معلشي يابا، بكرة ييجي يوم يرضي الكل.

قماوي (يتنهد بحرقة وعمق): الواحد يطق يا ناس ويكفر؟! أطلع من المولد بلا حمص؟! (ثم ينحني على الأرض ويظل يجمع اللوز المبعثر وينظفه، ويضعه في الكيس وهو يغمغم) إحييني النهاردة وموتني بكرة. إحييني النهاردة يا خويا وموتني بكرة. (يظل يفعل هذا مدة، ثم يتوقف فجأة ويرفع ظهره ويقول) الله! ريحة إيه دي يا ناس؟ (يعود ينحني مرة أخرى، ولكنه يعتدل فجأة) دي ريحة شياطين، دي ريحة القطن يا ولاد!

أصوات (من الداخل): ريحة شياطين!

السنباطي: إيه؟!

أصوات (من الداخل): ريحة شياطين يا ولاد!

(تبدأ دخانة تتصاعد من داخل المنزل).

أصوات (من الداخل): حريقة يا ولاد!

قماوي: دي ريحة قطن، دي في القطن. (الدخان متكاثر) إجري يا واد يا محمد، ميه يا ولد. البلاص يا نفيسة. إملا حجرك تراب يا عوض.

التاجر: يا نهار منيل. في القطن؟ مال البنك يا ولاد؟! مال الخواجات يا ولاد؟! إلحق طفي يا جدع. النجدة النجدة.

السنباطي: حريقة! روحوا يا ولاد، روحوا يا ولاد. يا ستار يا رب، يا ستار يا رب. راح القطن! الأرض انحجز عليها وراحت. (صافير وناس كثيرون يقبلون ملهوفين) العوض على الله، يا كمال، يا سعد، إنده امك وسعاد وتعالوا. إوعوا تستتوا في الدار، إطلعوا بره. يا ستار يا رب! طفوا يا ولاد، طفي يا قماوي، اجري يا محمد، روحوا يا ولاد.

قمحاوي (يخرج من البيت وأولاده وامراته يتبعونه): حصل خير يا سنباطي أفندي حصل خير، جات سليمة الحمد لله، انطفت خلاص. (الدخان ينقشع تدريجياً) آدي الحريقة يا سيدي. بسلامته ابنك كان مداري في المخزن بيشرب سيجارة، قامت الولعة شبكت في القطن.

الحاج (يلكز قمحاوي في جنبه ويقول بصوتٍ منخفض): ما كنت تسبيه ينحرق. متحمس على إيه؟ إنت نابك منه حاجة؟ ما كنت تسبيه يتحرق.

قمحاوي (بزعيقٍ هائل): أسبيه ازاي يا حاج؟! أسبيه ينحرق ازاي يا ناس؟! لو كنت انت اللي زرعت ما كنتش تقول كده؛ ده عرقي، ده شقايا، دا حنة مني. أسبيه يتحرق ازاي؟!

(ستار)